تدهور الوضع السياسي والأمني في دول إفريقيا جنوب الصحراء والساحل ومجهودات المملكة المغربية

الباحثة بوعزاوي غزلان
باحثة في سلك الدكتوراه
جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء
كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالمحمدية
مختبر الدراسات السياسية والحكامة الترابية
المغرب

مقدمة:

لقد بدأ القلق الإقليمي والدولي يتزايد بفعل الأزمات السياسية والأمنية التي تتخبط فيها معظم دول افريقيا جنوب الصحراء والساحل، خاصة منها دول شمال افريقيا مباشرة بعد اندلا ع ما سمي بالربيع العربي، ولقد تحدثت عدة جهات رسمية عن انتشار حوالي ستة ملايين قطعة سلاح مباشرة بعد انهيار نظام القذافي حسب تقرير أعدته قناة الجزيرة.

لقد تحولت هذه الأزمات إلى عاصفة جامحة هبت على غرب ووسط إفريقيا ووصلت أثارها إلى السودان التي عرفت تمرد قوات الدعم السريع بقيادة حميداتي على الجنيرال عبد الفتاح البرهان الذي وصل إلى السلطة عن طريق انقلاب على نظام الجنيرال عمر البشير.

لقد وصل لهيب الازمات السياسية الى تشاد بعد شد الحبل بين المعارضة ونظام الجنرال ديبي ابن الرئيس السابق إدريس ديبي والمصالحة الهشة التي وقعت بينهم مؤخرا، تلت هده الأحداث مسلسل من الانقلابات العسكرية التي وقعت في كل من نيجيريا والغابون وبوركينا فاسو وشبح التدخل العسكري الخارجي المخيم على المنطقة من طرف دول غرب افريقيا (إيكواس) بزعامة فرنسا.

من أجل المزيد من التدقيق في هذا الجانب سوف نتطرق بالدراسة والتحليل في ثلاثة محاور نجملها في:

أولا: أسباب هذه الأزمات السياسية والحلول المقترحة من طرف المملكة المغربية

ثانيا: الأزمات السياسية والوضع الأمني في المنطقة

ثالثا: مجهودات المملكة المغربية للتخفيف من انعكاسات الأزمات السياسية والأمنية في المنطقة.

أولا: أسباب هذه الأزمات السياسية والحلول المقترحة من طرف المملكة المغربية

على الرغم من النجاحات الباهرة التي حققها الإسلام في توسعاته وفتوحاته في شمال إفريقيا، إلا أنه لم يتسنى لأي جيش عربي اختراق الصحراء عموديا، والتحركات العسكرية الإسلامية بالصحراء كانت تفرض ضمان تعامل تجاري سلمي يؤمن سبل الحصول على الذهب السوداني (1).

إلا أنه بدأت الأوضاع المتفاقمة في دول إفريقيا جنوب الصحراء والساحل تثير قلقا بالغا في كل الأقاليم في ظل أزمات مترابطة، خاصة دول شمال إفريقيا، فضلا عن الانشغال الدولي بالتطورات المتلاحقة في المنطقة وطبيعة التدخلات من خارج القارة لاحتوائها.

قد تتحول هذه الأزمات إلى عاصفة جامحة تهب على كل غرب ووسط إفريقيا حتى تصل أثارها إلى الشمال، لذا كان التركيز على الوضع في هذه الدول خاصة بعد الانقلابات التي وقعت في كل من السودان واتشاد والنيجر وبوركينافاسو وكذلك الكونغو، الشيء الذي كاد ان يؤدي إلى تدخل عسكري خارجي.

1- أسباب الأزمات السياسية

تنبع هذه الأسباب بالدرجة الأولى من الأوضاع السياسية والأمنية وما تلاها من أنماط جديدة من التهديدات أبرزها ارتفاع مؤشر البطالة الذي بدأ مباشرة في الارتفاع بعد الازمة المالية العالمية المنفجرة سنة 2008 وما خلفته من ركوض اقتصادي أدى إلى تنامي ظاهرة الجريمة المنظمة مثل تجارة المخدرات والهجرة السرية والغير الشرعية، إضافة إلى تفاقم مشكل اللاجئين الفارين من قساوة الطبيعة بسبب الجفاف والحروب الأهلية وظهور أمراض خطيرة مثل الإيدز وإبولا وشبح الإرهاب الذي فاقم الوضعين الاقتصادي والأمني (2).

إضافة إلى ما ذكر، هناك أسباب أخرى لا تقل أهمية عن التي ذكرناها، تتمثل في تنوع المكونات العرقية والأثنية التي تتكون منها الشعوب الإفريقية الشيء الذي يحيلنا على تنوع الثقافات والتقاليد إضافة إلى تنوع التبعيات التي خلفها الاستعمار، مرورا بالتبعيات الإيديولوجية من معسكر اشتراكي إلى غربي، مختوما بتنوع اللهجات إلى إسلامية وغير إسلامية.

لهذه الأسباب، أصبحت القارة الإفريقية عامة، ودول الصحراء والساحل على الخصوص، بؤرة الاهتمام العالمي مع بداية القرن الحالي لما تمثله من أهمية استراتيجية واقتصادية متنامية، إضافة إلى كونها سوقا صاعدا تضم كثافة سكانية تجاوزت المليار نسمة ولازالت تأخذ في التصاعد في أفق 2050 (3).

فبفضل التحولات التي عرفها النسق الدولي الجديد وبروز قوى عالمية أخرى تتمثل في الهند، الصين واليابان، بدأت هذه القوى تتنافس من أجل إعادة توزيع القوة ومراكزها لتظهر إفريقيا أحد أبرز هذا الترتيب الجديد للجيوستراتيجية العالمية، بحيث استهدف هذه الأخيرة تنافسا دوليا مشددا على مواردها (4).

لهذا، فالتاريخ الحديث للعلاقات المغربية الإفريقية، تغلب عليه بعدان هما، بُعد الإنماء القاري وبالتالي الانخراط في مسلسل التضامن من أجل تحرير هذه الدول من الاستعمار وتبعيته بشتى أشكالها، وبُعد المصالح التي جعلت السياسة الخارجية للمملكة تضع ملف الصحراء كمحور للتقارب أو البعد من مجمل الدول الإفريقية خاصة.

وتربط المغرب مع الدول الإفريقية عامة عدة اتفاقيات ثنائية ومتعددة الأطراف، رغم كونها قد وقعت في مراحل تاريخية متفاوتة إلا أنها أصبحت أهم مدخل لتحديد العلاقات مع هذه الدول (5)، لهذا يمكن أن نتساءل فيما يمكن للترابط التجاري أن يؤثر على العلاقات السياسية بين المغرب وإفريقيا وبالتالي يقلل من الأزمات السياسية؟

2- الحلول المقترحة من طرف المملكة المغربية

لقد ربط المغرب علاقة متينة وقوية مع الدول الإفريقية (6)، حيث كانت أكبر تجليات هذا المسار في الزيارة التي قام بها الوزير الأول المغربي السيد عباس الفاسي من 29 مايو من سنة 1999 إلى 5 من يونيو من نفس السنة، إلى كل من السينغال، غينيا، الكوت ديفوار وبوركينا فاسو (7).

في خطوة أولى له من أجل إيجاد حلول معقولة، لقد أنظم المغرب إلى مجموعة دول الساحل والصحراء (COMESA) (8) في فبراير من سنة 2000 بالخرطوم، وبهذا الانضمام وصلت المجموعة حاليا إلى 21 دولة. وتهدف هذه المنظمة إلى تقليص حدة الصراعات بكافة أنواعها وإيجاد حلول لها وإحداث مجلس اقتصادي إضافة إلى صندوق خاص لتمويل مشاريع التنمية والنشاطات الأخرى (9).

ثانيا: الأزمات السياسية والوضع الأمني في المنطقة

هناك ترابط وثيق بين الأزمات السياسية والأوضاع الأمنية، فالثانية هي نتاج لعدم حكمة وتبصر الأولى، لهذا فإفريقيا لازالت إلى يومنا هذا تتخبط في أوحال الصراعات المسلحة والحروب المختلفة، حروب بين الدول وأخرى أهلية، أي داخلية، سواء قبلية أو عشائرية. وتمثل هذه الصراعات الطبيعة الهشة لبعض هذه الدول، والتي كانت أسبابها الفقر والتهميش واللامبالاة الاقتصادية.

1- تداعيات الأزمات السياسية على الوضع الأمني في المنطقة

أول ما يلفت الانتباه هو وجود نخب سياسية لا تسمح بنشأة أي تغيير أو تدابير يتيح المشاركة لمكونات أخرى، الشيء الذي يؤدي إلى إشعال أولى الشرارات نحو انعدام او بالأحرى زعزعت الاستقرار الأمني، إضافة إلى العوامل الدولية التي يمكن إدراجها في إطار الاقتصاد السياسي العالمي الذي تحتل فيه إفريقيا موقع الطرف الضعيف والخاسر على كل الجوانب والأصعدة (10).

لهذه الأسباب كلها، لقد أضحت إفريقيا أرض للاجئين بسبب الحروب (بروندي، رواندا، جمهورية الكنغو الديمقراطية، ليبريا، سيراليون، الصومال، إثيوبيا والسودان) (11)، لتنضاف إليها مؤخرا موجة الانقلابات العسكرية في كل من النيجر وبوركينا فاسو والغابون، الشيء الذي أدى إلى ارتفاع مستوى الإنفاق العسكري على حساب المشاريع التنموية نتيجة الفساد السياسي والإداري المستشري في دول إفريقيا إضافة إلى تقل عبئ الديون الخارجية التي أصبحت تحد من جهود التنمية (12).

2 -الحلول العامة للتخفيف من هذه الأزمات

للتطرق إلى هذه النقطة سوف نستغلها بمخططات مواجهة الأسباب البيئية لأزمة الغذاء في افريقيا بتصريح كان قد أدلى به السيد محمد عمر مخير أبو الزين (13)، نشر على موقع الصندوق العالمي للطبيعة (WWF)، على أن افريقيا تواجه أزمة غذائية تُعد الأسوأ منذ 40 سنة، حيث يعاني ما يقارب 114 مليون شخص من المجاعة، وهو رقم يقترب من نصف إجمالي سكان الولايات المتحدة من بينهم 50 مليون شخص في الساحل الافريقي. وبهذا، من الحلول العامة الموضوعة، عملت جمعية الصليب الأحمر والهلال الأحمر على تعزيز التضامن الدولي لمساعدة هذه الفئات على تجاوز المحن وتعزيز قدراتها على الاستجابة والحد من تعرضها للمخاطر وبناء قدرات الصمود وسن سياسات تمكن الحكومات والمنظمات الغير حكومية والقطاع الخاص بإفريقيا من تحديد التهديدات التي تشكلها آثار تغير المناخ. (14)

بعد تطرقنا للحلول البيئية سوف ننتقل إلى الحلول السياسية، حيث حاول الغرب في العقود الأخيرة دعم حكومات هذه المنطقة تحت غطاء من المفاهيم البراقة مثل المساعدة في بناء الدولة ونشر الحرية وتحقيق المساوات، وتأسيس الحكم الرشيد من أجل التنمية الذي يعتبر خلاص شعوب المنطقة.

إن هذه المبادئ الوهمية أخذت مسارا عكسيا مما دفع بخروج جيل كامل يمثل نخب إعلامية وسياسية وعسكرية، ومنظمات المجتمع المدني تعبر عن رفضها الكامل لسياسات الاستعلاء الذي ينهجها الغرب، لتبقى الحلول بيد الحكومات المحلية التي عليها إحداث القطيعة مع التدخلات الخارجية.

من خلال ما ذكر يبدو أن المشكل أعمق من ذلك بوجود حكومات عسكرية دكتاتورية موجهة من طرف القوى الدولية والإقليمية التقليدية التي غذة الصراعات العرقية والإثنية.(15)

ثالثا: مجهودات المملكة المغربية للتخفيف من انعكاسات الأزمات السياسية والأمنية في المنطقة

لقد عمل المغرب على تصدير الأمن الروحي كآلية استراتيجية لدعم التمدد المغربي في افريقيا حماية لمصالحه ولمكافحة الإرهاب وذلك عبر العمل على تثبيت الأمن الروحي بتصدير الإسلام المعتدل سعيا منه إلى تعميق نفوذه السياسي ومحاربة التطرف الديني.

ومن المظاهر الدالة على هذه العلاقة، هي عمارة المساجد الشاهدة على الحضارة المغربية الحاضرة في العمق الإفريقي منذ القدم، ولقد صنف ارنست كونل (16)، عمارة المنشآت المساجدية حسب تاريخ أو منطقة ظهورها إلى، الطراز العربي البسيط الأول، الطراز الأموي، الطراز العباسي ثم الطراز المغربي الأندلسي (17).

1- إحداث مؤسسة محمد السادس للأئمة

أحدث المغرب سنة 2015، مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة (18)، بهدف توحيد وتنسيق جهود العلماء المسلمين في المغرب أولا وباقي الدول الإفريقية ثانيا للتعريف بقيم الإسلام السمحاء ونشرها وترسيخها.

2- الأهداف الاستراتيجية

يهدف المغرب من وراء هده الاستراتيجية إلى تحقيق الأهداف الرئيسية التالية:

- تجسيد المقاربتين الوقائية والاستباقية، لحماية الأمن القومي للمملكة في إطار رؤية واسعة تربط الأمن الداخلي للمملكة بمحيطه الإقليمي، سواء على مستوى التهديدات الإرهابية أو على مستوى استراتيجية مواجهتها والتي تأخذ بعين الاعتبار خصوصيات النسيج العقائدي والمذهبي المحلي في إفريقيا.

وذلك بالعمل على إعادة إحياء شبكة الإسلام المحلي التقليدي المبني في جزء كبير منه على التدين الصوفي والمذهب المالكي وتحصين بنياته في مواجهة الفكر الديني المتطرف الذي ساهم في انتشار الجماعات الإرهابية المسلحة، كجماعة بوكو حرام في شمال مالي، وتنظيم القاعدة في شمال إفريقيا، وكذلك تنظيم داعش التنظيم الأكثر دمويا.

- اما المقاربة الثانية وهي مقاربة عسكرية لا تقل أهمية عن الأولى بل وهي داعمة لها وتتمثل في تدريب جيوش دول جنوب الصحراء والساحل سواء داخل المملكة أو تنظيم دورات عندهم في بلدانهم، وذلك كمقاربة عسكرية صلبة عكس المبادرة الفرنسية المقدمة في مالي سنة 2013 للقضاء على الإرهاب والتي أبانت عن فشلها ومحدوديتها(19).

3- نتائج المجهودات

لقد نجحت مبادرة تكوين الأئمة في إفريقيا وأعطت نتائج باهرة، بحيث أغلب دول افريقيا استطاعت أن تقضي على آفة الإرهاب، إن لم يكن مائة بالمائة فعلى الأقل سجل التاريخ عدم السيطرة عليها كما فعل في العراق وسوريا وكذلك في ليبيا إبان الإطاحة بحكم العقيد الليبي معمر القذافي.

لقد كشف وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد أحمد توفيق أن عدد الأئمة الأفارقة الذين استفادوا من التكوين بمعهد محمد السادس لتكوين الأئمة منذ تأسيسه سنة 2015 إلى متم سنة 2022 بلغ ما مجموعه 2798 طالبا وطالبة موزعين على تسع دول، كما أوضح السيد الوزير أن الدولة المغربية تخصص اعتمادات مالية مهمة كل سنة لمساعدة الجمعيات المهتمة بالتأطير الديني وبناء المساجد في إفريقيا وبلغت هده الاعتمادات إلى 103 ملايين درهم سنة 2022، استفادت منها 18 جمعية (20).

الهوامش:

1- جان هانويك، العلاقات الفكرية بين المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء عبر العصور، منشورات معهد الدراسات الإفريقية بالرباط، مطبعة المعاريف الجديدة، الرباط طبعة 2015، ص 17.

2- عبد المنعم سعيد ومحمد فايز فرحات، مجموعة العشرين وإعادة هيكلة النظام الاقتصادي العالمي، "كراسات استيراتيجية، العدد 207، فبراير 2010، ص 10.

3- فليب لنمار، "إفريقيا3 مسرح المناورات الدبلوماسية والاقتصادية، في أوضاع العالم، 50 فكرة رئيسية للفهم نهاية العالم الأحادي، تحرير برتراند بادي ودومنيك فبدال، مؤسسة الفكر العربي للدراسات والبحوث، بيروت الطبعة الأولى 2011 ص 78.

4- نجلاء محمد مرعي، الثورة النفطية والتنافس الدولي، الاستعماري الجديد في إفريقيا في "الأمة في مواجهة مشاريع التفتيت، مجلة البيان السعودية، والمركز العربي للدراسات الإنسانة، القاهرة، 2010 ص 417.

5- خالد شيات وخديجة بوتخليلي، التعاون المغربي الإفريقي، سلسلة ندوات، منشورات معهد الدراسات الإفريقية الرباط، طبعة 2010، ص 8 و9.

6- نفس المرجع السابق، ص15

7- الصحف الوطنية المتزامنة مع هذه المرحلة

8 COMESA (le Marché Commun de l'Afrique Orientale et Australe) est une zone de libre-échange, une communauté économique régionale en Afrique avec vingt et un États membres. Elle est formée en Décembre 1994, en remplacement d'une zone d'échanges préférentiels qui existait depuis 1981

9- جريدة الاتحاد الاشتراكي العدد الصادر في 10 من فبراير 2000

10- لحسن الحسناوي، التنافس الدولي في إفريقيا مع بداية القرن 21، الأهداف، الوسائل والانعكاسات، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في القانون العام، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء، كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالمحمدية، السنة الدراسية 2016-2017 ص 5.

11- ألفريد نهيما، قضايا السلم المنشود في أفريقيا، التحولات والديمقراطية والسياسات العامة (ترجمة مصطفى مجدي جمال) دار الأمين للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الأولى 2015، ص 5،6 و7.

12 -**ZHANG young peng, ressources et développement en Afrique, une vaste problématique P 12**

http://www.inf.org/externat/frenc/np/seminars/2012/kinchassa/pdf/yz.pdf

13- وهو المدير الإقليمي لإفريقيا في الاتحاد الدولي لجمعية الصليب الأحمر والهلال الأحمر.

14- مواجهة الأسباب البيئية لأزمة الغذاء في افريقيا

https://www.ifrc.org.s.article vue le 14 Aout 2024 à 12h30

15- انعكاسات عدم الاستقرار في منطقة الساحل الافريقي على أمن المنطقة

https://www.orsam.org.trsmgh vue le 14 Aout 2024 à 12h30

16- ارنست كونل هو مؤرخ فني ألماني ازداد سنة 1883 وتوفي سنة 1964م، كان متخصصا في الفن الإسلامي وكان معروفا بأبحاثه في العلاقة بين الفن الإسلامي والقبطي، وخاصة في المنسوجات. كان كونل مديرا لمتحف الفن الإسلامي من سنة 1931 إلى سنة 1951 وأستاذًا في جامعة برلين من عام 1935 إلى عام 1954.

17- حسين مؤنس، المساجد، سلسلة عالم المعرفة، عدد 37، مطبعة الكويت سنة 1981 ص 95

18- المادة 4 من الظهير الشريف رقم 1-15-75 صادر في 7 رمضان 1436 (24 يونيو 2015) المتعلق بإحداث مؤسسة محمد السادس للعلماء الأفارقة.

19- نص الخطاب الذي ألقاه الملك محمد السادس في باماكو خلال حفل تنصيب الرئيس المالي الجديد، موقع بوابة المغرب سبتمبر 2013. جلالة الملك يحضر حفل تنصيب الرئيس الجديد. **www.maroc.ma/ar**

20- **https://www.hespress.com**